الفصل الخامس

التعليم

التعليم في العهد العثماني

التعليم في عهد الإنتداب البريطاني

مدرسة اسدود الإبتدائية للبنين

مدرسة اسدود الإبتدائية للبنات

المناهج واليوم الدراسي

المدراء والمدرسون

التعليم في العهد العثماني

من المفيد أن نتطرق إلى التعليم في العهد العثماني وفي عهد الانتداب بوجه عام قبل أن نتحدث عنه في اسدود.

كان اهتمام الدولة العثمانية بالتعليم تقليديا ورمزيا، فكان يقتصر على أئمة المساجد في القرى والمدن. وكانت هناك بعض المدارس في مراكز الولايات العثمانية وفي استانبول نفسها. وباختصار كان التعليم يقتصرعلى أبناء العائلات والأعيان ذوي النفوذ في البلاد، أما في القرى فكان التعليم الرسمي غائبا تماما سوى إمام القرية الذي غالبا ما يتلقى تعليمه في الجامع الأزهر بمصر، ثم يعود إلى القرية لهذا الغرض بالتحديد. وغالبا ما يكون من عائلة ميسورة الحال. وهذا الإمام بدوره يقوم بتعليم بعض أبناء القرية القراءة والكتابة وحفظ شئ من القرآن الكريم ، وذلك في المسجد.

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، أخذت الدولة تولي بعض الاهتمام بالتعليم الحديث، تمهيدا لالتحاق الطلاب بالمدارس العسكرية. وفي عهد الانقلاب الاتحادي عام 1908، انتشرت المدارس الحديثة المنظمة وكانت اللغة التركية هي لغة التدريس. ولكن هذه المدارس لم يكن لها وجود في القرى بل اقتصرت على المدن الفلسطينية. ومع أن القانون نص على إلزامية التعليم ومجانيته، لكن الواقع كان غير ذلك. ولذلك اقتصر التلعيم على ابناء العائلات المتنفذه، وأبناء كبار موظفي الدولة، وأبناء الأعيان وكبار التجار. وبعض هؤلاء الطلاب كانوا يكملون تعليمهم في استانبول أو بالجامعة الأمريكية في بيروت ، أو بالجامع الأزهر.

كان التعليم في القرى، بوجه عام، شبه معدوم سوى في بعض "الكتاتيب" (جمع كُتُّاب) التي كان يشرف عليها بعض المشايخ ورجال الدين في المساجد أو في بيوتهم مقابل أجر زهيد، سواء نقدا أو عينا كالقمح والذرة والشعير بعد انتهاء موسم الحصاد، وكان التعليم يقتصر على القراءة والكتابة ومبادئ الحساب وتحفيظ السور القصيرة من القرآن الكريم. وهكذا يمكن القول بأن التعليم في العهد العثماني كان متخلفا ونادرا، وظلت جهود التعليم شبه فردية.

كانت الأمية في القرى تعم الجميع. ففي بعضها كان الناس يسافرون إلى قرية أخرى لكتابة رسالة أو قراءتها وردت إليهم من دوائر حكومية أو خاصة. وعلى سبيل المثال فإن من كان لديهم إلمام بالقراءة والكتابة في إسدود قبيل الحرب العالمية الأولى لا يزيد على عدد أصابع اليدين منهم: الشيخ علي الفيومي، الشيخ علي كتوع، والشيخ عبد الله أبو سلوم ولحق بهم جيل آخر مثل الشيخ محمود نجم. ومن غير المشايخ: سلمان أبو شمله، وأحمد عبد الجواد البيومي، وحسن أحمد النجار، وعبد الرحمن عبد القادر زقوت، وعدد بسيط أخر ولد في سنوات الحرب الأولى وتعلم في "الكُتّاب" ثم السنوات الأولى من عهد الانتداب ومنهم: الشيخ موسى غبن، والشيخ محمد الحنفي، وعبد الفتاح قفة، وسعيد أحمد إبراهيم، والشيخ عبد الحميد أبو شمله، والشيخ عبد الحليم الحمامي، وذيب علي أبو زينه، والشيخ حسن محمد البيومي.

التعليم في عهد الإنتداب البريطاني

وفي السنوات الخمس الأولى من الاحتلال البريطاني لفلسطين (1917-1922) ظل التعليم مهملاً، سوى النشاط المحلي الخاص والجهود الذاتية، والمدارس التبشيرية في المدن الكبرى الرئيسة بفلسطين.

وبعد أن تشكلت الإدارة المدنية في البلاد عام 1920، وقررت عصبة الأمم نظام الانتداب عام 1922، أخذت حكومة الانتداب تولي نظام التعليم بعض اهتمامها. ففتحت مدارس ابتدائية في القرى الكبيرة في فلسطين، ولم يتجاوز عددها الثلاثمائة مدرسة، مع ملاحظة أن عدد القرى في فلسطين كان يزيد عن 850 قرية وأن هذه المدارس كانت للسنة الرابعة الابتدائية فقط.

وكانت اسدود إحدى هذه القرى التي حظيت بإنشاء مدرسة ابتدائية وأصبحت مدرسة ابتدائية كاملة في العام الدراسي 1943/1944.

كانت فلسفة نظام التعليم البريطاني في مستعمراتها، تقوم على تعليم فئة معينة تختارها من أبناء الوجهاء والعائلات المتنفذة، ليتسلم أفرادها المناصب الحكومية، وتكون الحكومة مطمئنة إلى أنهم سينفذون سياستها بكل أمانة وإخلاص، وعلى تعليم عدد محدود من أبناء الطبقة الوسطى ليقوموا بالأعمال الكتابية في الدوائر المختلفة وفي التدريس. ومن أجل تنفيذ هذا المخطط، كانت المدارس قليلة، وأعداد الطلاب محدودة، ومؤهلات المدرسين متوسطة، والمنهج يتلاءم والسياسة الاستعمارية. فهناك رقابة رسمية على محتويات الكتب المدرسية، حرصا على عدم تنمية المشاعر والأحاسيس الوطنية، وعدم الاهتمام بالثقافة والتاريخ الوطني.

وبالرغم من هذه السياسة، فقد أصر عرب فلسطين على بناء المدارس من تبرعاتهم الذاتية، وتكوين لجان للمعارف في القرى، تكون مهمتها العمل على جمع الأموال اللازمة لبناء المدارس ودفع مرتبات المدرسين المعينين على حساب القرية. كان يرأس إدارة المعارف بفلسطين موظف بريطاني. وكانت الإدارة تشرف على التعليم عند العرب، بينما تركت لليهود الحرية الكاملة في إدارة مدارسهم.

ومن هذه السياسة المجحفة بحق العرب، أن نسبة ما كان يصرف على المعارف من ميزانية الحكومة بلغت حوالي 6% ثم انخفضت إلى حوالي 4% في العام 1944/1945 من مجموع 18 مليون جنيه كانت تجمع معظمها من عرب فلسطين، مع أن ميزانية الأمن كانت تزيد عن 30% من الميزانية العامة.

تتضح أخطار تلك السياسة التعليمية في فلسطين من بعض الأرقام والحقائق التالية:

يقول أحد رجال التعليم الأستاذ خليل طوطح في شهادته أمام اللجنة الملكية (1936) بأن الأطفال الذين كانوا في سن الدراسة يقدر عددهم (700,260) وعدد من كان منهم في مدارس الحكومة (700,42) طالباً أي بنسبة 16% تقريباً.

ومن الحقائق أيضا أن بعض مدارس القرى لم تصبح ابتدائية كاملة حتى منتصف الأربعينات، وإن المدن الصغيرة كالمجدل مثلاُ أنشأت الحكومة بها مدارس ثانوية تحتوي على صفين فقط في عام 1944. وأما مدينة غزة فلم تكتمل بها المدرسة الثانوية إلا عام 1946. وإن مدينة يافا كان بها مدرسة ثانوية حكومية واحدة ، هي المدرسة العامرية ، في عام 1945.

ويظهر جلياُ الحيف والظلم والحرمان الذي عانى منه الطلبة العرب في فلسطين ، إذ أن مجموع طلبة المدارس الثانوية الكاملة في فلسطين كان قد بلغ حوالي 1088 طالباً في عام 1945، وأن عدد الطلاب الذين اجتازوا امتحان شهادة المترك (الشهادة الثانوية) قد بلغ 100 طالب فقط. ومعنى ذلك أن 988 طالباُ تقريباُ حرموا من شهادة التعليم الثانوي.

كان في فلسطين حتى عام 1945 مدرستان ثانويتان حكوميتان فقط ، وكلاهما في القدس: الكلية العربية والمدرسة الرشيدية. ولكن يجب أن نشير إلى أنه كانت هناك مدارس ثانوية عديدة معظمها تركز في القدس والناصرة ويافا ، وجميعها مدارس تبشيرية مثل الفرندز التيراسنطا وسانت جورج ، وأهلية كمدرسة النجاح بنابلس وروضة المعارف الوطنية بالقدس.

وإجمالا لقد أهملت بريطانيا تعليم عرب فلسطين، فرفضت تمويله وتطويره بشكل يفيد العرب لأن حكومة الإحتلال كانت تخشى آثاره السلبية على بريطانيا وسياستها الصهيونية في فلسطين. فقد كانت الحكومة تعتبر المدارس مراكز "لتفريخ" الثوار ضد بريطانيا والصهيونية. لذلك أخذت سياسة التعليم تتجه إلى تشجيع "التدريب المهني" وعدم تخطي "محو الأمية" بين العرب.

وبالرغم من هذه السياسة المجحفة بحق عرب فلسطين، والقيود التي فرضتها حكومة الانتداب على تعليمهم، فإن القرويين لم يستكينوا وأخذوا يجمعون التبرعات ويبنون المدارس أو يضيفون الصفوف اللازمة، لتطوير مدارسهم، ويدفعون مرتبات بعض المدرسين بعد أن خفضت الحكومة ميزانية المعارف في العام الدراسي 1940/1941. وبلغت تبرعات القرى حوالي 430 ألف جنيها في الفترة ما بين عامي 1941 و 1945.

وكانت سياسة الانتداب التعليمية تقوم على عدم مراعاة مصالح عرب فلسطين. فكانت إدارة المعارف تصدر تعليماتها للمدارس بتحديد قبول نسبة قليلة من أعداد المتقدمين إليها من التلاميذ، وكانت هذه النسبة تختلف في المدن عنها في القرى. ففي المدن كانت نسبة المقبولين أعلى منها في القرى. وعلى العموم لم تكن تزيد عن 57% من مجموع المتقدمين في الثلاثينات. ناهيك عن المجموع العام للأطفال الذين هم في سن الالتحاق بالمدرسة. وفي الأربعينات، انخفضت النسبة إلى 45% بسبب انخفاض الميزانية لظروف الحرب. ولكن أهالي القرى تغلبوا على هذه العقبات بجهودهم الذاتية فزادوا في المباني ودفعوا رواتب بعض المعلمين. ولكن بوجه عام لم يقبل كل طفل يتقدم للالتحاق بالمدرسة. وهذا الوضع ينسحب على اسدود. فكان من الواضح أن بلدة يناهز عدد سكانها خمسة آلاف نسمة ، لا يتناسب حجمها مع عدد طلاب المدرسة فيها في أواخر عهد الانتداب، والذي بلغ حوالي 400 طالبا. والدراسات تفيد أن معدّل نسبة طلاب المدارس إلى نسبة السكان تتراوح ما بين 20-25%. وبناء على هذه النسبة، كان لابد أن يكون عدد طلاب مدرسة اسدود للبنين لا يقل عن ألف ومئتي طالب. ولو أخذنا في الاعتبار نسبة الطالبات والتي عادة ما تكون حوالي 50% من المجموع، لاتضح مدى تعسف السياسة التعليمية لحكومة الانتداب تجاه عرب فلسطين.

مدرسة اسدود الإبتدائية للبنين

كان التعليم في اسدود ، كغيرها من القرى العربية في فلسطين ، يعتمد بشكل عام على الكتاتيب. وهذا النوع من التعليم كان سائدا في أواخر العهد العثماني. يعتمد على مجهودات فردية ومبادرات شخصية يقوم بها بعض المشايخ، ويتخذ الشيخ من بيته مكانا لتدريس الأطفال القراءة والكتابة، وتحفيظهم شيئا من القرآن الكريم ومبادئ الحساب. وكانت باختصار وسيلة لمحو الأمية في القرية. ومن أشهر "الكتاتيب" في اسدود: كتّاب الشيخ علي الفيومي، وكتّاب الشيخ عبد الله أبو سلوم. وكان كلاهما في المنطقة الغربية من القرية. وكان على كل تلميذ أن يدفع "تعريفه" أي نصف قرش كل أسبوع أو بيضه ورغيف. علاوة على صاع أو مسحة من القمح أو الذرة بعد موسم الحصاد. ولكن كان عدد التلاميذ محدوداً نظراُ لعدم مقدرة الكثير على توفير هذه الأجرة البسيطة أو لحاجة الناس لأولادهم في أغراض الفلاحة، وربما لعدم إدراكهم لأهمية التعليم.

وقد قررت حكومة الانتداب البريطاني فتح مدارس ابتدائية في القرى والمدن عام 1922. وبالفعل كانت إسدود من القرى التي شملها القرار. فبدأت الدراسة في نفس السنة ، وافتتحت المدرسة في مبنى حجري صغير مكون من غرفتين في الدور الأرضي وغرفتين في الدور العلوي، والمبنى ملحق لبابور الطحين (طاحونة الحبوب) الكائن في غرب القرية ، والتي كان مالكه يسكن خارج القرية ، ويديره الحاج قاسم شحتوت وابن أخيه محمد الأدعس. وبعد سنتين انتقلت المدرسة إلى مبنى الشيخ إبراهيم المتبولي وكان فيه غرفتان وأمامهما رواق واسع وجميل استعملت جميعها للمدرسة.

ومن أوائل المعلمين الذين أرسلتهم إدارة المعارف: نظمي الزهارنة وحلمي الأمير من غزة ، ثم جاء بعدهما عثمان القيشاوي وأحمد علي مهدي. ونتيجة لإقبال الأطفال على التعليم، وكان مجانيا، ضاق المكان بهم، فقامت الحكومة ببناء مدرسة لهذا الغرض في عام 1928، وكانت مكوّنة من ثلاث غرف كبيرة علاوة على غرفتين صغيرتين للإدارة ، إحداهما لمدير المدرسة، والأخرى للمدرسين. وكان الصفان الأول والثاني كل في غرفة مستقلة ، أما الغرفة الثالثة فكانت للصف الثالث والرابع معاُ ، وينبغي على المعلم أن يقوم بتدريسهما في نفس الوقت.

وكان مدير المدرسة ، محمود موسى ، من طرعان قضاء جنين. وفي عام 1942، وأعقبه مدير جديد اسمه عبد الكريم محمد أبو دف من غزة ، وهو الذي أضاف غرفة إلى المدرسة ليتمكن من زيادة صف جديد بها ، وهو الصف الخامس في العام الدراسي 1942/1943. وفي العام التالي ، تم استحداث الصفين السادس والسابع ، وبذلك اكتملت صفوف مدرسة اسدود الابتدائية في العام الدراسي 1943/1944.

وقد قرر المدير الجديد ترفيع أربعة طلبة من الخامس إلى السابع، ثم جاء بطالب خامس وهو محمد خالد البطراوي ، والذي كان يدرس في مدرسة المجدل ، ليكتمل العدد القانوني للصف الجديد ، وهو خمسة طلاب ، ليتسنى له قانونياُ تنفيذ خطته دون أية عقبات من إدارة المعارف، وبالفعل تكللت جهوده بالنجاح. وهنا لابد من الإشادة بجهود هذا المدير النشيط والطموح ، وفي نفس الوقت التنويه بالدعم المادي والمعنوي له من لجنة المعارف المحلية المشكلة من مخاتير القرية وأعيانها ، ولا شك أنها كانت نقلة نوعية موفقه في رحلة التعليم بالقرية.

أما قصة توفير الأماكن اللازمة لهذه الصفوف فإنها جديرة بالإشارة إليها باختصار. كانت الحكومة ترفض تزويد المدارس بمواد البناء بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية. فجاء الحل باتفاق مدير المدرسة مع بعض أبناء القرية على توفير هذه المواد من معسكرات الجيش المجاورة وفعلا تم تشييد غرفتين بسرعة على يد مقاول من قرية يبنا اسمه أحمد نطّط.

وكان طلبة الصف السابع الجديد هم محمد خالد البطراوي، محمد عبد الهادي الحنفي، عبد الحميد محمد طقش، رجب داود تمراز، وسلمان عبد الله أبو حرب.

وبعد انتهاء العام الدراسي، التحق محمد خالد البطراوي بمدرسة الإمام الشافعي الثانوية بغزة، وعبد الحميد طقش بالمدرسة الثانوية بالخليل، ورجب تمراز بثانوية المجدل.

أما محمد خالد البطراوي، فقد فصله مدير المدرسة ممدوح الخالدي بسبب نشاطه السياسي بين الطلبة، وعاد إلى إسدود ليعمل موظفاُ بجهاز سكة الحديد. أماعبد الحميد طقش، فقد عاد إلى القرية بعد اتمام السنة الأولى الثانوية ليعمل معلماُ بمدرسة إسدود الابتدائية في العام الدراسي 1945/1946. وكذلك كان الأمر مع رجب تمراز، الذي تم تعيينه معلماُ بمدرسة بربرة الابتدائية.

وهكذا تتابع تخريج أفواج من طلاب الصف السابع حتى عام النكبة. وأخذت الأعداد تزداد شيئا فشيئا. فطلاب الفوج الثاني من خريجي الصف السابع للعام الدراسي 1944/1945 كانوا تسعة ، وهم عبد الله عبد الرحمن زقوت، عبد العزيز حسن تمراز، عبد العزيز محمد زقوت، عبد الحي محمد الأدعس، سعيد محمد البيومي، محمد اسماعيل السباخي، مسلم محمود أبو شوقه، حسن علي أبو الريش، ومحمد حسين أبو شمالة (من قرية بيت دراس). ومن هذا الصف التحق تلميذ واحد فقط بمدرسة المجدل الثانوية ، وهو عبد الله عبد الرحمن زقوت ، وبعدها تم تعيينه معلماُ بمدرسة عبسان الابتدائية.

والفوج الثالث للخريجين كان في العام الدراسي 1945/1946 ، حيث بلغ عددهم تسعة أيضاُ ، وهم أحمد حسن النجار جودة، أحمد محمد العبادي، خميس محمد غنام، عبد الرحمن حسين عوض الله، عبد الهادي عبد القادر حميد، عبد الله محمد عيسى زقوت، لطفي عبد الفتاح السباخي، محمد عبد الحميد عقل، و محمد عبد السلام أبو شاويش،

ويلاحظ أن طالبين من هذا الصف كانا من القرى المجاورة ، وهما أحمد العبادي (من البطاني الغربي) ومحمد أبو شاويش (من برقا)

وكان التلاميذ الثلاثة الأوائل على الصف أحمد النجار جودة، أحمد العبادي، و محمد أبو شاويش ، وقد التحقوا بمدرسة المجدل الثانوية ، وأكمل النجار والعبادي السنة الثانية في عام النكبة (1948)، أما أبو شاويش فانقطع عن الدراسة بعد السنة الأولى ، في عام 1947.

أما خريجو الفوج الرابع فهم حسين محمد غيث (ابن تمرجي عيادة العيون) ، سلامة محمد سلامة، صالح مصطفى قفة، سعيد عبد الغني الشيخ ، عبد الرحمن درويش أبو عرف ، عبد الرحمن عبد الهادي العايدي، عبد الله محمد طقش، محمد عبد الرحمن قفة. وقد التحق اثنان منهم بمدرسة الفالوجه الثانوية في العام الدراسي 1947/1948 ، وهما محمد عبد الرحمن قفة وعبد الرحمن العايدي.

ومن الجدير بالذكر أن عددا كبيرا من أبناء القرى المجاورة مثل بيت دراس، والبطاني الغربي والشرقي، وبرقا، كانوا يدرسون بمدرسة إسدود ، خاصة بعد الصف الرابع ، إذ لم يكن في قراهم مدارس ابتدائية كاملة.

كما يجب التنويه هنا بأن عدد التلاميذ في الصف الأول كان حوالي 45-50. ومع ذلك، كان عددهم يتناقص على مدى السنين ليصبح في الصف السابع حوالي عشرة تقريباً. وفي هذا دلالة على أن نسبة التسرب بين الطلاب كانت كبيرة لعدة أسباب ، أهمها أعمال الفلاحة أو إهمال الوالدين وعدم الاهتمام بالمتابعة. وحيث أن التعليم الابتدائي كان مجانيا ، فمن المستبعد أن يكون العامل المادي سبباُ في هذه الظاهرة. أما قلة أعداد الذين يتابعون دراستهم الثانوية ، فكان يعود إلى ثلاثة عوامل ، وهي: أولاُ ، إن إدارة المعارف كانت تحدد العدد المسموح به في المدارس الثانوية. ثانياً ، ان تكاليف الدراسة الثانوية لطلبة القرى كانت عالية ، والمنح الدراسية كانت محدودة جداً ، وتقتصر على الطلاب الذين يقبلون بالكلية العربية أو المدرسة الرشيدية بالقدس ، وهؤلاء يتراوح عددهم من 25-30 طالباُ سنوياُ من جميع أنحاء فلسطين.

ثالثاً ، مشاكل الاغتراب ، حيث أن أعمار الطلاب دون الرابعة عشرة لم تكن أمراً هيناً على الطلاب وعلى ذويهم فيما يتعلق بأمور الحياة ، وخاصة لعدم وجود قسم داخلي في المدرسة للطلبة الغرباء. وحتى في حالة وجود قسم داخلي يوفر المسكن والمأكل ، فإن تكاليفه كانت مرتفعة بالنسبة للفلاح العادي. فمثلاُ كانت تكاليف القسم الداخلي في مدرسة المجدل الثانوية سنويا 45 جنيهاُ في عام 1945. وتستطيع أن تقدر قيمة المبلغ إذا عرفت أن أجرة العامل يوميا كانت 15 قرشاُ ، ورطل القمح (3 كليو غرام) كان يباع بثمانية قروش.

وفي السنوات السابقة لاكتمال المدرسة الابتدائية، كان التلاميذ يذهبون إلى مدرسة المجدل بعد الصف الرابع، فكان ذلك بدون شك أمراُ صعباُ جداُ، إذ يكون عمر التلميذ حوالي 12عاماُ على أقصى حد. وبعد أن يكمل الصف السابع يتحول إلى غزة أو إلى القدس. وحقيقة أن هذا الجيل عانى وكافح من أجل العلم كثيراُ.

وهنا أجد لزاماُ ، لتوضيح هذه المتاعب ، سرد جزء يسير من رحلة التعليم لأحد أبناء إسدود في دراسته بالمجدل في منتصف الثلاثينات. فحين أنهى الصف السابع كان ترتيبه الثاني وكان مرشحا للالتحاق بالكلية العربية بالقدس وكانت الدراسة فيها مجانا وبدون رسوم وبالقسم الداخلي. ولكن إدارة المدرسة رشحت بدلاُ منه تلميذاُ كان ترتيبه الخامس ، وهو محمود يوسف نجم. وكان والده ، يوسف نجم ، رئيس بلدية المجدل ومن أكبر أغنياء المدينة. فالتحق الطالب السدودي بثانوية غزة وتكرر معه نفس الموقف بعد السنة الثانية الثانوية وترشح في مكانه للدراسة في الكلية العربية بالقدس أحد أبناء عائلة شرّاب بالمدينة. وهكذا حرم من فرصة إكمال تعليمه الثانوي، فعمل مدرساُ بمدرسة زرنوقا الابتدائية. وبعد أن نجح في امتحان شهادة المعلمين الدنيا تم تعيينه مديراُ لمدرسة دير البلح الابتدائية ثم المدرسة الثانوية حتى تقاعد في الثمانينات من القرن العشرين الميلادي. هذه رحلة الأستاذ عطية عبد الرحيم تمراز، وهو مربي أجيال في المنطقة الوسطى من قطاع غزة. هذه القصة رواها لي بنفسه، وهناك عشرات من أمثالها أو أشد قسوة ومعاناة منها.

أما مدرسة البنين فقد بلغ عدد طلابها في عام 1947 ، حوالي 400 طالباً ، وعدد المدرسين عشرة، وكانت لجنة المعارف بالقرية تدفع راتب اثنين منهم. وكان بالمدرسة مكتبة تحتوي على مئات الكتب لاستعمال التلاميذ والمعلمين. ومما لا شك فيه أن المدرسة ساهمت في تخريج أعداد كبيرة من المتعلمين والمثقفين وقسم منهم عمل بالتدريس في اسدود أو خارجها. وتروي بعض المراجع أنه كان في اسدود عام 1945 أكثر من ألف ومئتي شخص يلمون بالقراءة والكتابة. وفي الواقع أصبحت اسدود مركزا هاما من مراكز الحركة العمالية والتنوير السياسي في منتصف الأربعينات في جنوب فلسطين وبها فرع لعصبة التحرر الوطني. ويعود ذلك في معظمه إلى النقابي الطليعي محمد خالد البطراوي وعدد آخر من أبناء اسدود المتعلمين الذين ساعدوه في تحقيق طموحاته.

ومع ذلك لم تسنح الفرصة لجميع الأطفال في سن التعليم أن يلتحقوا بالمدرسة – وكانت النسبة لا تزيد عن 30% يسمح لهم بالتسجيل في الصف الأول. ففي اسدود مثلا كانت سعة الصف الأول ما بين 40-45تلميذا علما بأن سكان القرية بلغوا أكثر من أربعة آلاف نسمة في أول العقد وحوالي خمسة آلاف في منتصفه (1945)، أضف إلى ذلك أنّ نسبة التسرب بين الطلبة كانت عالية جدا إذا ما عرفنا أن 25% فقط من تلاميذ الصف الأول يتخرجون من الصف السابع لأن التعليم لم يكن إلزاميا ولعدم الاكتراث بشكل عام.

مدرسة اسدود الإبتدائية للبنات

أما تعليم البنات فلم يجد اهتماما مساويا لتعليم الأولاد في القرية أو المدينة سواء من حكومة الانتداب أو من الأهالي. لكن في المدينة وجدت الفتاة مدارس للالتحاق بها إما حكومية أو أهلية خاصة. أما في القرية فكان ذلك متعذرا بدون مبادرة رسمية. ففي اسدود حاولت إدارة المعارف إنشاء مدرسة للبنات في أوائل الثلاثينات ولكنها للأسف قوبلت بمعارضة شديدة من وجهاء ومخاتير القرية ، وهكذا قتلت المحاولة في مهدها. ولم تبعث مرة أخرى حتى عام 1942 على يد الأستاذ عبد الكريم أبو دف ، مدير مدرسة البنين.

وفي البداية ، تردد الكثير من الناس عن تسجيل بناتهم في المدرسة ، ثم أخذوا يقبلون على تسجيلهن بعد أن بادر بعض الأعيان ورجال الدين بفعل ذلك ، مثلما فعل الشيخ محمد الحنفي بتسجيل ابنته "أسماء" بالمدرسة ، وتبعه في ذلك أحمد البيومي المشهور" بالبيك" ، فسجل ابنته "سعده" ، وكذلك عبدالحميد الشبلي ، الذي سجل ابنته "فاطمه". وهكذا أخذ الناس يتقاطرون من جميع العائلات في القرية لتسجيل بناتهم في المدرسة ، فازداد عدد الطالبات فيها.

وافتتحت مدرسة البنات في بيت مستأجر قريب من مدرسة البنين هو بيت العبد عطوة. وكانت أول معلمة ومديرة هي وداد الحجاوي من نابلس ، ولكن تحت إشراف مدير مدرسة البنين. افتتحت المدرسة بحوالي عشرين طالبة بالسنة الأولى، ثم أخذت تزداد الصفوف والطالبات وبالتالي ازداد عدد المعلمات ومن هؤلاء لطيفة زقوت من المجدل ، وفاطمة مراد من غزة، وعطاف غربية من القدس.

وأصبح عدد التلميذات بها أكثر من 75 تلميذة موزعات على أربعة صفوف ، وتدفع لجنة المعارف بالقرية راتب معلمة. وفي عام 1947 شيدت مدرسة للبنات من الأسمنت المسلح لكن النكبة حالت دون انتقالها إلى المبنى الجديد، وما يزال المبنى قائما إلى الآن. وقد اتخذته بعثة الحفريات الأمريكية في الستينات مقرا لنشاطها في التنقيب عن آثار اسدود القديمة.

المناهج واليوم الدراسي

أما المواد الدراسية في المرحلة الإبتدائية فهي اللغة العربية ، العلوم الدينية ، الحساب، التاريخ، الجغرافيا، اللغة الإنجليزية ، ابتداء من الصف الربع ، مبادئ الصحة. وفي الصفوف العليا تضاف الهندسة والجبر والزراعة ، وكانت مادة الزراعة خاصة بمدارس القرى فقط. وعلاوة على ذلك هناك الرسم، والرياضة البدنية. وكان من أكثر المحفوظات شيوعا التي يتعلمها طلاب الصف الأول ويفرح بها أهلهم وأقاربهم حين ينشدونها في البيت أو في مقعد الحمولة نشيد القهوة:

أنا المحبوبة السمرا وأجلى في الفناجين

وعود الهند لي عطر وذكري شاع في الصين

ونشيد آخر عن هجرة الرسول محمد ، صلى الله عليه وسلم ، واستقبال أهل يثرب (المدينة) له:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

جئت شرفت المدينة مرحبا يا خير داع

كان المنهج بدون شك مكثفا ومركزا ويعتمد على الحفظ وليس على الشرح والفهم. ويرى رجال التربية أن الهدف من وراء ذلك هو إشغال الطلبة للابتعاد عن السياسة والحركة الوطنية.

كانت مقررات التاريخ والجغرافيا مكدسة بمعلومات عن اوروبا وبريطانيا أكثر منها عن البلاد العربية. فكان اليوم الدراسي يبدأ بانتظام الطلبة في طابور الصباح بحيث أن طلاب كل فصل لوحدهم ، ويقوم مربي الفصل بالتفتيش على طلبته من ناحية النظافة ، بما في ذلك الشعر والأظافر والملابس. ثم تقوم فرقة من الطلبة بإنشاد نشيد الصباح. ويقودها طالب يتمتع بصوت جميل ، وممن اشتهر من بينهم الطالب علي سعيد كتوع ، الذي التحق بمدرسة أهلية في يافا لتطوير ملكته الفنية ، وأصبح يعزف على العود ، وبعد النكبة عمل مدرساً للموسيقى بمدارس الللاجئين بقطاع غزة ، ثم بمدارس بنغازي في ليبيا.

ومن أهم الأناشيد التي كانت تردد نشيد موطني للشاعر إبراهيم طوقان ، ومطلعه "الجلالُ والجمالُ والثناءُ والبهاءُ في رُباك" ، وأيضاً "نشيد نحن الشباب لنا الغدُ ومجدُهُ المخلدُ " ، ونشيد ثالث مطلعه "بلادي بلادي فداكِ دمي وهبت حياتي فداً تسلمي."

أما اليوم الدراسي فيتبع نظام اليوم الكامل صباحا ومساء. في كل يوم سبع حصص ، خمسة قبل الظهر ، واثنتان بعد الظهر ، وبينهما فرصة غداء مدتها ساعة ونصف تقريبا ، يذهب التلاميذ خلالها إلى بيوتهم لتناول الغذاء ثم يعودون لإكمال اليوم الدراسي. وكان العقاب شديداً للمقصرين في واجباتهم فيحرمون من فرصة الغداء ، وكثيراً ما كانت الفلقة عقاباً لمن أساء السلوك من التلاميذ أو أهمل في واجباته الدراسة. وكان الأسبوع الدراسي خمسة أيام كاملة ونصف يوم الخميس ، أما يوم الجمعة فهو عطلة أسبوعية.

وعلاوة على ذلك ، كان طلاب الصفوف العليا يعملون يدويا ، في حصة الزراعة ، في مزرعة المدرسة التي كانت مساحتها حوالي 4 دونمات. وكان بها صناديق نحل ، وأنواع شتى من الخضار.

وكان بالمدرسة نشاط رياضي كبير ، وخاصة بعد قدوم المدير الجديد عبد الكريم أبو دف. وشمل ذلك النشاط كرة القدم والقفز العالي والقفز العريض والجري وكرة السلة. وكثيراً ما كان يتبارى فريق المدرسة مع فرق مدارس القرى المجاورة ، مثل المسمية. وفي نهاية العام ، يشترك بعض طلاب المدرسة في المهرجان الختامي والذي كان يقام في مدرسة الإمام الشافعي بغزة لجميع مدارس القضاء الجنوبي.

وفي نهاية العام الدراسي ، يقام احتفال كبير يتخلله إلقاء القصائد ، والمناظرات الشعرية، والتمثيليات الفكاهية والجدية. وينتهي الحفل بتوزيع الجوائز على الفائزين وأوائل الصفوف. وكان الحضور هم وجهاء ومخاتير القرية وأولياء أمور الطلبة.

وكانت عطلة الصيف 75 يوما من منتصف حزيران إلى أول أيلول ، بالإضافة إلى عطلة نصف السّنة في فصل الشتاء ومدتها حوالي أسبوعين.

المدراء والمدرسون

في ما يلي قوائم بأسماء الأشخاص من مديرين ومعلمين ممن عملوا في المدرستين الإبتدائيتين للبنين والبنات في اسدود ، وكذلك خارجها.

اولا: قائمة بأسماء مدراء المدرسة الابتدائية في اسدود (1922-1948) ، حسب التسلسل الزمني: اسم البلدة

1. نظمي الزهارنة غزة
2. أحمد قرضايا يافا
3. يوسف مسعود كفر قدوم ، قضاء نابلس
4. محمود موسى صانور ، قضاء جنين
5. عبد الكريم محمد أبو دف غزة
6. محمد القيمري الخليل
7. أحمد عبد الله الريماوي بيت ريما ، قضاء رام الله

ثانيا: قائمة بأسماء المعلمين الذين عملوا بمدرسة اسدود الابتدائية (1922-1948) حسب الترتيب الأبجدي: اسم البلدة

1. أحمد علي مهدي قطرة
2. جبريل عبد الهادي زقوت اسدود
3. جودت خيال غزة
4. الشيخ حسن محمد البيومي اسدود
5. حلمي الأمير غزة
6. ذيب خليل الخالدي كرتيا
7. رياض الحجاوي نابلس
8. عبد الحميد محمد طقش اسدود
9. عبد المجيد يوسف القسطينة
10. عبد المنعم العالم المسمية
11. عبد الله ربيع زقوت اسدود
12. عثمان القيشاوي غزة
13. علي عيسى السيد الحداد المجدل
14. الشيخ علي ياسين أبو شمالة بيت دراس
15. فؤاد فارس يافا
16. محمد أبو أمونه يبنا
17. محمد اخميّس يبنا
18. الشيخ محمد حرب جودة اسدود
19. الشيخ محمد خاطر السوافير
20. محمد عبد الحميد أبو شمله اسدود
21. الشيخ محمد قدورة عقيلان الفالوجه
22. مصطفى عبد المحسن الحوراني المسمية الصغيرة

ثالثا: قائمة بأسماء أبناء اسدود الذين عملوا بالتعليم خارج اسدود ، حسب الترتيب الأبجدي

1. جبريل عبد الهادي زقوت مدرسة الفالوجه
2. حسين محمود نجم ثانوية أهلية في يافا 1942-1948

 كلية غزة 1948-1950 ، الكويت 1950 حتى سن التقاعد

1. رجب داود تمراز مدرسة بربرة الابتدائية
2. عبد الرحمن محمود جودة مدرسة بني سهيلا الابتدائية

 مدرسة بيت دراس الإبتدائية

1. عبد الله عبد الرحمن زقوت مدرسة عبسان الابتدائية

 مدرسة بيت دراس الإبتدائية

1. عطية عبد الرحيم تمراز مدرسة أبو سويرح الإبتدائية

 زرنوقا الابتدائية

 مدير مدرسة دير البلح الابتدائية والثانوية

1. محمد محمود نجم مدارس الكويت (1938-1942)

العامرية الثانوية في يافا 1942-1948

مدارس الكويت 1948 حتى سن التقاعد

وكان المذكور أعلاه أول شخص من اسدود ينهي التعليم الجامعي بكلية دار العلوم بالأزهر (1938) ، وكانت كلية لتدريس اللغة العربية.

رابعا: قائمة بأسماء المعلمات بمدرسة اسدود الإبتدائية للبنات ، حسب الترتيب الزمني:

 أسماء المعلمات اسم البلدة

1. وداد محمد الحجاوي نابلس
2. عطاف غربية القدس
3. فاطمة مراد غزة
4. لطيفة زقوت المجدل

ويلاحظ من القوائم المذكورة أعلاه بأن المدرسين والمدراء في العقدين الأولين من نشأة التعليم في اسدود كانوا من سكان المدن والقرى المجاورة لها والذين كانت لديهم فرص أفضل للتعليم. أما في أواخر الثلاثينات وخلال الأربعينات أخذت أعداد المعلمين القرويين تظهر بوضوح في أوساط جهاز التعليم. وأخذ بعض المعلمين القرويين الذين حصلوا على شهادة المترك أو "الانترميديت" (سنتان بعد المترك) يعملون بالمدارس الثانوية في المدن ، سواء كانت حكومية أو أهلية. وكان هؤلاء يفضل العمل في المدينة عنه في القرية ، بالرغم من أن المعلم في القرية كان يتمتع باحترام وتقدير أهل القرية وحسن ضيافتهم بدرجة لا يحلم بها المعلم في المدينة وخاصة إذا كان قرويا.

وملاحظة أخرى يجب تسجيلها إنصافا لهؤلاء المعلمين. فبالرغم من كفاءاتهم المتواضعة وحاجة معظمهم للتدريب على طرق التدريس وأساليبه الحديثة ، إلا أن تفانيهم وإخلاصهم في عملهم ساهم في تنشئة أجيال مؤهلة وقادرة على مواجهة المستقبل. لم يكن للمعلمين أية مشاركة في وضع المناهج ورسم السياسة العامة للتعليم ، لكنهم كانوا لا يتركون مناسبة أو فرصة ملائمة دون انتهازها والاستفادة منها في عملهم لصالح أبناء وطنهم. وكان بعضهم على قدر كبير من الثقافة والوعي الوطني اكتسبوها خلال سنوات دراستهم عملهم ، وحرصوا على أن يتشربها تلامذتهم أملاُ في تحقيق تطلعاتهم المستقبلية. وكثير من هؤلاء المعلمين كانوا يحثون التلاميذ ويشجعونهم على مواصلة التعليم ، ويتدخلون أحيانا لإقناع ذويهم بذلك. وإجمالاُ ، فقد نجحوا إلى حد كبير في تحقيق رسالتهم وفي إرساء حجر الأساس القوي لأجيال قادمة أثبتت قدرتها على الصمود أمام كوارث الزمن بل والتغلب عليها ، ومحاولة بناء مستقبل أفضل لشعبهم ووطنهم. وقد ظهر أثر ذلك جلياُ وعملياُ ، بعد النكبة ، حين انتشر أبناء فلسطين في الوطن العربي يعملون في جميع المجالات: كالتعليم ، والإدارة ، والطب ، والهندسة ، وغير ذلك، بمقدرة فائقة وكفاءة عالية.